(٤٧) خطبته ﷺ يوم أحد

قام ﷺ ، فخطب الناس ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله :

« أيُّها النَّاسُ.. أُوصيكم بِمَا أَوْصَانى اللهُ فى كتابِه، من العملِ بطاعتهِ، والتَّناهِى عنْ مَحارمِه، ثم إنَّكم اليومَ بمنزلِ أجْرٍ وذُخْرٍ لمنْ ذَكَر الَّذى عليهِ، ثُمَّ وَطَّنَ نَفْسَه عَلَى الصَّبرِ واليقينِ، والجدِّ والنَّشَاط، فإنَّ جهادَ العدوِّ شديدٌ كريهٌ، قليلٌ مَنْ يصبرُ عليه. إلاَّ مَنْ عزمَ له علَى رُشْدِه، إنَّ اللهَ معَ مَنْ أطاعَهُ، وإنَّ الشَّيطانَ مَعَ مَنْ عَصَاه، فاسْتَفْتِحُوا أعْمَالَكم بالصَّبر على الجِهَادِ، والْتَمِسُوا بذلكَ ما وَعَدَكُم اللَّهُ ، وعَلَيكم بالَّذى أَمَرَكُم بهِ ، فإنِّى حريصٌ علَى رُشْدِكم . إنَّ الاختلافَ والتَّنازعَ والتَّثبيطَ مِنْ أمْرِ العَجْزِ والضَّعْفِ، وهُوَ مِمَّا لا يحبُّه اللَّهُ، ولا يُعْطِى عليهِ النَّصْرَ .

أيُّها النَّاسُ.. إنَّه قذفَ فِى قَلبى أنَّ مَنْ كانَ علَى حرامٍ فَرَغِبَ عَنْهُ ابْتِغَاءَ مَا عندَ اللَّهِ، غفرَ له ذَنْبهُ، ومَنْ صلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ صلاةً: صلَّى اللهُ عليهِ وملائكتُه عَشْراً، ومَنْ أحْسَنَ وقعَ أجرُه علَى اللهِ فى عاجِلِ دُنياه، أو فى آجِلِ آخرتهِ، ومَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ، فعليهِ

الجُمعةُ يومَ الجـمعةِ، إلاّ صَبِيّاً أو امرأةً أو مَرِيضاً أو عَـبْداً مَمْلوكاً . ومَنِ اسْتَغْنَى عَنْهَا اسْتَغْنَى اللَّهُ عَنْهُ، واللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ .

مَا أعلـمُ مِنْ عَمَلٍ يقـرِّبكم إلى اللّهِ إلاَّ وقد أمـرتُكم بهِ، ولا أعلمُ مِنْ عَـمَلٍ يقـرِّبكم إلى النَّارِ إلا وقـدْ نهـيـتُكم عَنْهُ ، وإنَّه قـد نفثَ الروحُ الأمينُ(١) فِي رَوعِي أنَّه لنْ تموتَ نفسٌ حتَّى تَسـتوفِيَ أقصَى رِزقـها لا ينقصُ مِنه شيءٌ وإنْ أبْطَـأَ عَنْها، فـاتَّقُـوا اللّهَ ربَّكم، وأجْـمِلوا في طلبِ الرِّزْقِ، ولا يَحْمِلنَّكم اسْتبطَاؤهُ علَى أنْ تطلبـوهُ بمعصيةِ رَبِّكم، فإنَّه لا يقـدرُ علَى ما عِندَه إلا بطاعـتهِ، قد بيّن لَكُمُ الحَـلاَل والحَرَام، غيرَ أنَّ بينَها شُبَهاً مِنَ الأمـرِ لَمْ يَعْلَمْهَا كثيرٌ مِنَ النَّاسِ إلاَّ مَنْ عُصِم، فَمَنْ تَرَكَـهَا حَـفِظَ عِرْضَـهُ وَدِيْنَهُ، ومَنْ وَقَعَ فِيـهَا كَانَ كَـالرَّاعِي إلى جَنْبِ الحِـمَى أوشكَ أنْ يقعَ فِـيـهِ، وليسَ ملكٌ إلا ولَهُ حِـمًى، ألاَ وإنَّ حِمَى اللـهِ مَحَارِمُـه، والمُؤمنُ مِنَ المـؤمنينَ كالرَّأسِ مِنَ الجَـسَدِ، إذا اشْتَكَى تَدَاعَى إليهِ سَائِرُ جَسَدِهِ.. والسَّلام عليكم» .

(جمهرة خطب العرب ـ الجزء الأول)

في هذه الخطبة التي خطبها الرسول ﷺ في يوم أُحُد، وهو اليوم الذي امتحن المسلمون فيه امتحاناً عسيراً كان من أهم نتائجه أن مخالفة

(١) وهو جبريل عليه السلام .

أمر الرسول ﷺ كادت أن تقضى على الدعوة ورسولها لولا لطف الله ونصره الذى كان إنقاذًا للدعوة ورسولها، بل ورجالها . .

فى هذه الخطبة ـ وبعد حمد الله تعالى والثناء عليه ـ يوصى الرسول ﷺ أصحابه بما أوصى به الله تعالى فى كتابه، وهو طاعته سبحانه وتعالى والتناهى عن محارمه؛ لأن تنفيذ هذا هو الانتماء الحقيقى لعبادة الله تبارك وتعالى :

﴿الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ (١) .

ثم إذا كان النبى ﷺ بعد ذلك قد قال لهم :

« ثُمَّ إنَّكم اليومَ بمنـزلِ أجْرٍ وذُخْرٍ لِمَنْ ذَكَـرَ الذى علَيهِ . ثمَّ وطَّن نَفْسَه علَى الصَّبر واليَقينِ ».

فإن النبى ﷺ يريد من وراء هذا التذكير أن يحاسب كل واحد منهم نفسه، أو أن يسأل كلٌّ نفسه إذا كان صادقاً فى مواجهته للعدو أم لا . . ؟ . فإن كان صادقًا فإنه لابد وأن يوطِّن نفسه على الصبر واليقين لأنه فى موطن أجر وذخر لمن ذكر الذى عليه من الحقوق والواجبات لله تعالى ودينه الحنيف . وإذا كان العكس هو الصحيح فإنه لابد وأن

---

(١) سورة الأعلى : ٢ ـ ٥ .

يكون صريحاً مع نفسه حتى لا يكون من أهل الخسران المبين . . وذلك بتجديد النية والحرص على إعلاء كلمة الله والجهاد فى سبيله سبحانه وتعالى .

ثم إذا كان النبى ﷺ قد أوصى كذلك بضرورة أن يلتمس بذلك ما وعده الله، وأن يكون على صلة بالله تعالى بتنفيذ أوامره : فإنه بذلك قد وضع النقط على الحروف، لأن النية الصادقة هى الأساس فى قبولَ الأعمال، ولأن طاعة الله تعالى هى الأساس فى نجاح تلك الأعمال .

وإذا كان الرسول ﷺ كذلك قد قال :

« **إنَّه قـذفَ فِي قَلبى أنَّ مَنْ كـانَ علـى حَرامٍ فـرغـبَ عنه ابتـغاءَ مـا عندَ اللهِ غـفرَ له ذَنبـه، ومَنْ صلَّى على مُحَـمَّد صـلاةً صلَّى اللهُ عليهِ وملائكتُـه عَشْراً ...** » إلخ : فإ المراد هو أن نَرْغَبَ عن الحرام ابتغاء ما عند الله حتى يغفر الله لنا ذنوبنا، وأن نكثر من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ حتى يصلى الله تعالى علينا مع ملائكته . . وهذه نعمة كبرى لابد وأن نغتنمها ونستفيد بها . . ولا سيما إذا كنا سننفِّذ ـ بالإضافة إلى هذا ـ كل ما أوصى به الرسول ﷺ فى هذه الخطبة والذى من أهمه قول الرسول ﷺ :

« فَـاتَّـقُـوا اللَّهَ رَبَّكـم، وأَجْـمِلُوا فى طـلبِ الرِّزْقِ، ولا يَحْـمـلنَّكم استبطاؤُد علَى أنْ تَطلبوه بمعصـيةِ رَبِّكم، فإنَّه لا يُقْدَرُ علَى ما عِنْدَه إلاَّ بطاعتهِ ... » إلى آخر الخطبة التى قال فيها :

« **والمؤمنُ مِنَ المؤمنينَ كالرَّأسِ مِنَ الجَسَدِ، إذَا اشْتَكَى تَدَاعَى إليهِ سائرُ جَسَدِهِ ...**» .

فلنكن ـ إن شاء الله تعالى ـ من المنتفعين بهذه الخطبة كما انتفع بها الأصحاب الفضلاء فكانت درساً لهم طوال حياتهم .

ولنكن كذلك من الحريصين على طاعة الله . . حتى نكون أهلاً لرحمته، وليكن ـ كل هذا ـ على أساس من الحب والإخاء والترابط والوفاء؛ حتى يكون النصر حليفنا، والإيمان شعارنا .

* * *